خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١١/٠٣/٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "لو ألقينا نظرة على زمن النبي ﷺ والصحابة الكرام علمنا أنهم كانوا بسطاء ومتواضعين، وكانت حالتهم تحاكي حالة إناء تمّ تنظيفه جيدًا ثم بُيِّض جيدا ثم وُضعت فيه أنفَس الأطعمة وأصفاها. فعلى هذه الشاكلة لو تطهر الإنسان ثم بيَّض نفسَه كالإناء الذي تم تلميعه فلا بد أن يوضع فيه طعام أفضال الله تعالى. ولكن كم من الناس يَصِلون إلى هذه الدرجة؟"

وورد في رواية نُشرت في جريدة أخرى أن المسيح الموعود عليه السلام عندما ضرب مثال الإناء قال: "على شاكلة هذا الإناء النظيف والطاهر كانت قلوب الصحابة منورة بأنوار كلام الله تعالى ومطهرة من صدأ الكدورة الإنسانية، وكأنهم كانوا مصداقا حقيقيا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس ١٠)".

فهذا هو الإنقلاب الذي أحدثه النبي ﷺ في الذين قد توغلوا في وحل العداوة والبغضاء إلى درجة أنه كلما نشأت بينهم عداوة فكانت تستمر أجيالا وليس سنوات، إلا أنهم لما آمنوا بالنبي ﷺ وسعوا – مدفوعين بمحبته ﷺ – جاهدين ليكونوا عبادًا كاملين لله تعالى، وواظبوا على قراءة القرآن وتقيدوا بالعمل به، وملأوا قلوبهم بنور كلام الله تعالى، فصاروا أطهارًا أصفياء كصفاء الإناء الذي تم تبييضه وتلميعه.

لعل البعض ولا سيما سكان هذه البلاد لا يعرفون معنى التبييض، ولا يعلمون كيف يتم تبييض الأواني؟ فأشرح لهم أن الناس قديمًا كانوا يستخدمون أواني برونزية أو أوانيَ مصنوعةً من المعادن المشابهة له، وكان لا بد من تبييضها وتلميعها بين الفينة والفينة. أهل باكستان والهند يعرفون جيدًا ما هو تبييض الأواني، كما يعرفه الذين كانوا يتطوعون في دور ضيافة الجماعة، حيث كان لا بد من تلميع الطناجر الكبيرة التي يطبخ فيها الطعام أثناء الجلسة السنوية. فأولا يُحمى على الإناء في النار ثم يُطلى بملح النُشادر أو ببعض المواد الكيماوية الأخرى، ثم يُدخَل في النار ثم يطلى بمعدن أبيض لامع، حتى يُلمّع

جيدًا باستخدام قطعة من القماش إلى أن يصبح بارقًا ولامعًا ونظيفًا، وكأنه إناء من الفضة.

لقد قدمت هذا التوضيح لأن مثال الإناء الملمَّع المبيَّض – الذي قدمه المسيح الموعود عليه السلام – لا ينطبق على المحاولات العادية لتزكية النفس، حيث يتم تنظيف الإناء أولاً ثم يحمى عليه في النار، ولا بد أن يمر من عملية معينة. فخلاصة قول حضرته عليه السلام أن كل من ينال هذه الدرجة أو يريد الوصول إليها فلا بد أن يمرّ من مرحلة شاقة تفيض بالجهد والكد، ثم يتنور بالمعنى الحقيقي بنور كلام الله تعالى، ويحرز مقام الفلاح الذي بينه الله تعالى في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾. إن السعي للوصول إلى تزكية النفس يحتاج إلى المجاهدة. ولقد بُعث المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر تابعًا كاملا لسيده ﷺ من أجل إلحاق الآخرين بالأولين، ولإخبار الناس عن طرق تصفية القلوب المصدأة ولتبييض أواني أفئدتهم بأنوار الكلام الإلهي. ونرى نماذج هذه الحالة في صحابته عليه السلام، فقد ملئت قلوبهم بالأنوار وكانوا يعيشون حياتهم متشبثين بأهداب التقوى. فهذا هو العمل الذي يدفعنا نحو نيل قرب الله تعالى وتزكية أنفسنا. يقول المسيح الموعود عليه السلام موضحًا الأمر نفسه:

"يجب أن تدركوا ما هي تزكية النفس؛ فتذكروا، أنه يجب على المسلم أن يكون مستعدًّا في كل حين وآن لأداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده، ويجب أن يظهر من خلال عمله أيضا أن الله تعالى واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، كما يؤمن بذلك بلسانه، وينبغي أن يعامل عبدُ الله تعالى بكل مواساة ورفق، وألا يستبطن لإخوته أي نوع من البغض والحسد والحقد، وأن يتخلى

كليًّا عن غيبة الآخرين... يريد الله تعالى أن تكونوا فيما بينكم كمثل جسد واحد، فإذا صرتم كالجسد الواحد أمكنَنا القول إنكم نجحتم في تزكية أنفسكم... إن الجنة التي ينالها الإنسان في الدنيا إنما ينالها من خلال العمل بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، فحين يدرك الإنسان المدلول الحقيقي للعبادة ويفوز بلبها ومغزاها يبدأ الفوز بسلسلة طاهرة من إنعام الله وإكرامه، و يشعر روحانيا بالنعم التي ستعطى للإنسان بعد الموت في صورة مرئية ومحسوسة." (أي إن النعم التي قُدِّرت للمؤمن بعد الوفاة وسيُحس بها ويراها فإنه يفوز بها في هذا العالم).

فالغاية المتوخاة من بعثة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمن أن يمكّن الناس من الفوز بالنعم الروحانية بإحداث التغيير فيهم. وفَّق الله كل أحمدي لاستيعاب هذا الأصل وهذه الغاية، فالسعداء هم الذين أدركوا هذه الحقيقة وسعوا جاهدين لتزكية نفوسهم ونالوا قرْب الله.

إن صحابة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا كما قلت أحدثوا التغيير غير العادي في نفوسهم اقتداء بصحابة النبي ﷺ، ثم جاهدوا أن تستمر تلك الحسنات في أجيالهم القادمة، وسعيدةٌ تلك الأجيال التي حافظت على هذا الفيض وجعلته يستمر في المستقبل.

أود أن أذكر الآن أحد هؤلاء الصلحاء الذي رفع اسم أبيه وجده الصحابيَين، ونجد المزايا التي ذكرها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لتزكية النفس تتحقق في شخصية هذا الصالح، وأنا على صلة قرابة معه أيضا، وهو حفيد صحابيَين جليلين من صحابة المسيح الموعود عليه السلام، وقد توفي في الآونة الأخيرة، واسمه

حضرة السيد داود مظفر شاه رحمه الله، وكان جده لأبيه حضرة الدكتور السيد عبد الستار شاه ﷺ -كما قلت- صحابيا للمسيح الموعود وكان حائزا على أسمى مدارج التقوى والطهارة والتواضع والاهتمام بأداء حقوق الله وحقوق العباد، وقد كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ الرواية التالية عنه فقال: ذكر لي حضرة السيد عبد الستار شاه شخصيا أن حضرة المولوي نور الدين ﷺ (الذي انتخب خليفة أول للمسيح الموعود عليه السلام) أصيب ذات مرة بمرض شديد، يومَ كان يقيم في بيت حضرته عليه السلام، فذبح سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام الخرفان صدقةً، وكنت عنده ذلك الوقت وسهرت على مداواته وظللتُ أناوله الدواءَ، وحين جاء سيدنا المسيح الموعود عليه السلام صباحا يعوده قال له: (وكان تحسّن قليلا) يا سيدي! قد سهر الدكتور طوال الليل عندي وظلَّ يقدم لي الدواء باهتمام، فسُرَّ حضرته عليه السلام كثيرا وقال: أنا الآخر أنظر إليه بنظرة الغبطة، هذه العائلة من أهل الجنة، وكرّر هذه الجملة بضع مرات.

أقدم لكم حادثا من سيرة حضرة الدكتور السيد عبد الستار شاه جدَّ المرحوم داود مظفر يلقي الضوء على رحابة صدره وصبره وقد سبق ذكره مرارا. فذات يوم حين كان يبلغ أحدا دعوة المسيح الموعود عليه السلام جالسا في المسجد، وكان عندها يعمل طبيبًا جراحا في مشفى حكومي -وكان منصب الطبيب الجراح في ذلك الزمن يعتبر منصبا مرموقا- وكان الحديث حول صدق دعوى المسيح الموعود عليه السلام وفي أثناء الحوار استشاط ذلك الرجل غضبا من كلام حضرة الشاه، وضرب الإبريق في جبهته وكسر عظمها، فأخذ الدم يسيل، فانصرف الدكتور من عنده واضعا يده على رأسه دون أن يقول له شيئا

فوصل إلى المستشفى حيث ضمد الجرح، وأثناء ذلك شعر ذلك الرجل بقلق متسائلا عَمَّا سيحدث له لعلمه أنّ حضرة الدكتور طبيبٌ حكومي، وأن الشرطة ستأتي وتعتقله، فكان فزعا جدا وغارقا في هذه الأفكار حتى عاد إليه الدكتور عبد الستار شاه مضمدا رأسه فقال له: لعل غضبك هدأ الآن فتعال نستأنف الحوار. يقول ذلك الرجل في بيان هذا الوضْع: كنت قلقا وخائفا جدا فبدأتُ أسأله الغفران والعفو وكانت حالتي عجيبة من شدة الخوف والندم.

فهذا هو نموذج الصبر الرائع الذي أبداه رغم كونه حائزا على منصب دكتور مرموق، ولا يتمكن من هذه الأخلاق السامية إلا الذي أنشأ في نفسه تغيّرا حسنا، وزكاها تزكية حقيقية. فكان حضرة الدكتور عبد الستار شاه جدٌّ للمرحوم داود مظفر شاه، إذ كان المرحوم ابنًا للسيد محمود الله شاه الذي كان الابن الثاني للدكتور عبد الستار شاه المحترم. يقول الدكتور حشمت الله خان – الذي كان طبيب الخليفة الثاني ﷺ الخاص – في مقال له عن هذه العائلة: "كان السيد محمود الله شاه هو الابن الرابع للزوجين (الدكتور عبد الستار شاه وزوجته) وكان رجلا صالحا جدا ويتحلى بمكارم الأخلاق. كان يعشق الله ويحبه بوجه خاص، وكان متحليا بعاطفة مواساة خلق الله أيضا إلى أقصى الحدود. وكانت حلقة أصدقائه واسعة جدا. كان من ميزاته إكرام الكبار والشفقة على الصغار. وإن أولاده أيضا أتقياء صالحون ببركة أدعيته. (يقصد كِلا الابنين وهما: السيد داود مظفر شاه والسيد مسعود مبارك شاه)

ومنهم ذلك السعيد الحظ الذي زوّجه سيدُنا المصلح الموعود ﷺ فلذةَ كبده، ورزقهما الله تعالى ستة أولاد.

وكما قال الدكتور حشمت الله المحترم إن السيد داود مظفر شاه – ابن السيد محمود الله شاه – كان صهرا للمصلح الموعود ﷺ. وكان متصفا بصفات أبيه وجدّه فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد. ومن ميزاته الانهماك في العبادات، وحب القرآن والتواضع والانكسار، ولقاء الآخرين ببالغ الاحترام. بل كان يحترم الإخوة الصغار لزوجته إلى حد غير عادي لكونهم أبناء للمصلح الموعود ﷺ. والمعلوم أنه يحدث شيء ما في بعض الأحيان بين الأقارب الأقربين أيضا، ولكن كلما شعر المرحوم أن ذلك قد يعكّر صفو الجو لزم الصمت بل عامل الصغار منه سنا بالاحترام لينتهي النقاش على ما يرام، أو لم يقعد معهم. لقد شاهدت شخصيا أنه كان يحترم أولاد سيدنا المسيح الموعود وأولاد أولاده إلى حد كبير لكونهم ذوي قرابة دموية معه عليه السلام، فكنت أستغرب من ذلك. وفي بعض الأحيان كنت أشعر نظرا إلى شدة احترامه لهم إلى هذا الحد بأنه يحترمهم أكثر من المفروض، وما كنت أراه مناسبا. ولكن الحق أنه كان من مقتضى طيبة طبعه وحسن طويته أن يبدي أخلاقه الفاضلة على هذا النحو.

كان اسم زوجته السيدة أمة الحكيم بيغم، وكانا زوجان مثاليين بكل معنى الكلمة، فكانا يتسابقان في ضرب أمثلة عليا للأخلاق الفاضلة وكسب الحسنات. نرى على جاري العادة أن يحدث بين الزوجين حول موضوع الإنفاق مثلا ما يكدر صفوهما، ولكن هذين الزوجين ما كان يأبهان بالإنفاق الدنيوي ولم يفكرا به قط، بل كانا متوجّهين إلى أن يساعدا المحتاجين بأي

شكل. فإذا ساعد الزوج أحدا قالت الزوجة: ليتك ساعدته أكثر من ذلك، ولو ساعدت الزوجة قال الزوج: لو ملكتُ مالا أكثر لأعطيته أكثر.

ذات مرة ذكر المرحوم داود مظفر أحمد بنفسه أن زوجته السيدة أمة الحكيم بيغم – التي توفيت قبل ٨ أو ٩ سنوات – جاءت في منامه أكثر من مرة وقالت له: عليك أن تساعد الفقير الفلاني بمبلغ كذا، وأن تتصدّق على المفلس الفلاني بمبلغ كذا، فكان المرحوم يعمل بذلك فورا. لقد رأيت هذين الزوجين أنهما كانا يعطيان للآخرين أكثر من إنفاقهما على نفسيهما. ولقد أخبرني بعض الإخوة أيضا أنه إذا جاءهما النقود بالآلاف لوزّعاها بالقدر نفسه على المحتاجين دون أن يفكرا بماذا سيبقى عندهما. عندما عُهدتْ إلي مهمة الإشراف على أراضيهما *(قبل تولي الخلافة)* سألتُ السيدة أمة الحكيم بيغم: كم قمحا تريدين للتخزين في البيت للسنة القادمة؟ – كما هي عادة المزارعين في بلادنا – فقالت: أربعة أو خمسة أطنان. قلتُ: يكفيكم طنٌّ واحدٌ أو ما شابه ذلك للاستهلاك سنةً كاملةً. قالت: لا شك أننا لا نحتاج إلى أكثر من ذلك ولكننا نعطي بعض الفقراء أيضا، إذا نعطي بعض العائلات قمحا يكفيهم لعام كامل. والحال نفسه بالنسبة إلى المرحوم مظفر داود. كان المرحوم زوج خالتي وحمايَ أيضا، وكان يتحلى بميزات كثيرة. ولكن لا أذكر ميزاته أو ميزات خالتي لكونهما قريبينِ لي أو لكوني صهرا لهما، بل هكذا رأيتهما منذ صغري، الأمر الذي أثّر فيَّ كثيرا. كان المرحوم قليل الكلام، كثير التركيز على الدعاء، ويقابل الصغار أيضا بوجه بشوش، ويحترمهم، وكان بعيدا عن الأمور الدنيوية.

لقد كتب إليَّ أحد أقاربنا – وكلامه صحيح تماما – أن السيد داود مظفر المحترم كان إنسانا محبَّبا جدا، وكثير العبادة. سأتناول الآن بعضا من صفاته الأخرى ومعاملة الله معه، ولكن قبل ذلك أريد أن أذكر عائلته من جانب جدته لأمه.. فكما قلت من قبل إن جدّه لأمه، وهو المولوي سيد سَرْوَرْ شاه المحترم أيضا كان صحابيا وكان معروفا في الجماعة بصلاحه وتقواه. وخدم مفتيا في الجماعة إلى فترة طويلة. لقد ذكر الإخوة القدامى في الجماعة طول صلواته وحسنها وجمالها كثيرا. وقد روى أحد الإخوة أنه كان ذات مرة يصلي صلاة السنة أو النافلة في إحدى زوايا المسجد وأطال الوقوف كثيرا. يقول الراوي بأنه حين طال وقوفه أكثر من المفروض اقتربت منه لأرى كيفية صلاته، فوجدته يكرر ترديد الكلمات: "إياك نعبد وإياك نستعين" وظل يكررها إلى فترة طويلة.

كان المولوي سرور شاه يؤم الصلوات أيضا، وكان يطيل الصلوات بالجماعة أيضا. كان المرحوم مظفر داود شاه ابن بنته. فقد ورث المستوى الأعلى في الأدعية والأخلاق الفاضلة من كلا الجانبين. إن التأسي بأسوة الصلحاء الأسلاف وأداء حقها لا يتسنى للجميع؛ فقليل ما هم الذين يوفَّقون لذلك، ولكن المرحوم أدى هذا الحق بكل معنى الكلمة. كان من أولئك الصالحين الذين إذا طلب منه أحد الدعاء كان يدعو له ما لم يخبره الطالب بالنتيجة. إني أعرف شخصيا، وكذلك كتب إليّ أيضا بعض الإخوة أن المرحوم كان كثيرا ما يقول بأن بعض الإخوة يطلبون مني أن أدعو لهم ولكنهم لا يخبرونني بعد ذلك أن مشكلتهم قد حُلّت، ثم أعلم بعد سنة أو عدة أشهر أن الله تعالى قد

حقق مرامهم قبل فترة من الزمن، ولكني كنت مستمرا في الدعاء لهم. فلو خدمه أحد خدمةً مهما كانت بسيطة فإنه يظهر امتنانه له كثيرا، وكان يدعو له بالتزام إلى فترة طويلة بذكر اسمه. كان يدعو كثيرا للأطباء الذين خدموه في مرضه. كلما زار الدكتور محمود الحسن نوري المحترم ربوة – قبل انتقاله إليها بصورة دائمة – كان يُطلَب منه أن يفحصه في بيته، فكان يفعل ذلك دائما، فكان المرحوم يدعو له كثيرا. ندعو الله تعالى أن يديم بركات أدعيته في حق الدكتور محمود الحسن المحترم، لأن وجوده أيضا نافع للناس إلى درجة كبيرة.

كذلك كان الدكتور "عبد الخالق" يزوره بالتزام بصدد علاجه. كان المرحوم مصابا بمرض القلب منذ فترة طويلة. وقد حدث مرارا أن ساءت حالته فجأة فكان الدكتور عبد الخالق يحضر فورا للإشراف عليه كلما أخبِر بذلك. لقد كتب إليَّ الدكتور عبد الخالق بأنه كلما زار المرحومَ في بيته أو دخل المستشفى كان يقول له: ادعُ الله ألا يأتي وقت أُحرَم فيه من الدعاء والعبادة، وأن تكون عاقبتي حسنة. لقد أرى الله تعالى بعضَ الإخوة منامات عن حسن عاقبته. فقد رأى ابنُ أخيه في المنام قبل بضعة أيام أن الخليفة الرابع رحمه الله جاء وأخذ المرحومَ السيد مظفر شاه معه. وهناك رؤيا أخرى رآها المرحوم بنفسه، وتتلخص هذه الرؤيا الطويلة بأن الخليفة الثاني ﷺ خصصّ له كرسيا.

كذلك رأت إحدى السيدات – التي ما كانت تعرف المرحوم جيدا – في رؤيا طويلة تتلخص في أنه قد أُلقي في رُوعها في الرؤيا بأن المرحوم رجل صالح جدا وله مكانة مرموقة عند الله. كما رأى المرحوم في رؤيا أخرى أن زوجته السيدة أمة الحكيم موجودة في مكان مرتفع وهي سعيدة جدا وتقول للمرحوم

أن يأتي هو أيضا إلى ذلك المكان. فنادى الملاك أو اللهُ تعالى بأنه لن يأتي الآن لأنه قد بقيت له بعض الأدعية ليدعو بها.

كان شغوفا في العبادات والدعاء، بسبب التربية التي تلقاها من جديه لأبيه وجده لأمه، حيث كان يسكن عند جده لأبيه السيد عبد الستار شاه في آخر حياته حين كان قد ضعف كثيرا بسبب المرض، حيث لم يكن يحضر المسجد للصلاة، ولكن كان يقيم الصلاة جماعة في بيته، وكان يطلب من السيد مظفر داود أن يؤم الصلاة حين كان في السابعة عشرة من عمره. فيقول السيد مظفر داود بنفسه بهذا الصدد أنه أمّ الدكتور عبد الستار شاه في الصلوات بكثرة في الفترة الأخيرة من حياته، وخاصة صلاة الجمعة، إذا كان حضرته ملتزما بالصلاة جماعةً دائما. وقد ظل يؤدي الصلوات الخمس في المسجد ما دام بصحة جيدة. ولكن عندما عجز عن المشي صار يصليها جماعةً في البيت. فكان قد صنع مصطبةً تشبه المسجد داخل البيت والأخرى في الحديقة حيث كان يصلي المغرب عادة جماعةً، ويشاركه فيها بعض الإخوة من الخارج أيضا في معظم الأوقات. وبعد الصلاة كان الدكتور عبد الستار المحترم ينشد عادة قصائد المسيح الموعود عليه السلام. يقول المرحوم مظفر داود شاه بأنني ذات مرة لم أصلِّ معه صلاة الجمعة وذهبتُ إلى المسجد لأدائها، وعندما عدتُ من المسجد سخط عليّ جدّي كثيرا وقال: اليوم لم تصلِّ بي صلاة الجمعة، وسأشكوك عند أبيك حين يعود (كان أبوه السيد محمود الله شاه في تلك الأيام في أفريقيا) ثم توفِّي الدكتور السيد عبد الستار شاه بعد ذلك بفترة وجيزة.

كان معاملة الله تعالى مع السيد داود مظفر شاه معاملة خاصة. ما كان المرحوم راغبا في الدنيا، لذا لم يكن ميسور الحال، ولكنه كان قانعا وشاكرا لله على ما كان عنده، ومنه كان ينفق على الفقراء والمحتاجين أيضا بما لا ينفقه الأغنياء وأصحاب الثراء أيضا. تقول زوجة ابنه السيد صهيب الذي كان يسكن معه في بيته بأنه في آخر حياته لم يكن قادرا على كتابة الحسابات بنفسه لضعف البصر، لذا كلما جاءته النقود كان يطلب منها أن تسجل الحسابات. فكان يقول لها: أولا أخرجي منها تبرع الوصية ثم حصة اليتامى ثم للطلاب والمرضى الفقراء، ثم إذا بقي عنده شيء اقتناه لسد حاجاته.

وأعلم شخصيا أنه كان يتبرع في صندوق التحريك الجديد والوقف الجديد بسخاء. يقول أولاده بأنه حدث مرارا أن سألنا: هل تواجهون مشكلة ما؟ وذلك دون أن يُذكَر له شيء من هذا القبيل، علما أن بصره كان قد ضعف كثيرا في الفترة الأخيرة بحيث ما كان قادرا أن يشعر بذلك من ملامح الوجه أيضا. لقد كتب إليَّ ابنه السيد محمود أحمد بأننا في بعض الأحيان كنا نواجه مشكلة ما فكان أبونا يسأل هل أصابكم ضرر من فلان؟ وكان ذلك صحيحا في الحقيقة، ودون أن تكون هناك أدنى إمكانية أن يخبره بها أحد سوى الله تعالى. وهذا الأمر كان يحثه على الدعاء فتنحل مشاكلنا نتيجة دعائه. كذلك تقول كنته بأنها كانت في بعض الأحيان تواجهها المشاكل فيقول لها المرحوم: هل تواجهين مشاكل كذا وكذا، مع أنها لم تُذكَر أمامه قط. ثم كانت المشاكل تزول نتيجة دعائه.

كان المرحوم يعشق القرآن الكريم، فكان يتلو عدة أجزاء منه.. أيْ من خمسة أو ستة أجزاء بل إلى سبعة أو ثمانية أجزاء كل يوم. لذا كان يحفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم. قال لي ذات مرة في شهر رمضان أن بصري يضعف شيئا فشيئا فتتعب عيناي كثيرا عند القراءة، لذا لا أستطيع أن أتلو القرآن الكريم كثيرا وهذا يؤلمني بشدة. فقلت: أظنك تستطيع أن تقرأ جزءا أو جزأين، وهذا يكفي في هذه الحالة، وكان ببالي أنه كثير بالنسبة إليه. فقال: لا، بل أتلو ثلاثة أو أربعة أجزاء في هذه الحالة أيضا. فهذا كان عشقه للقرآن الكريم إذ كان يضطرب لقلة تلاوته. فقلت له إذا كنت تقرأ هذا القدر فما الداعي لهذا الاضطراب؟ غير أن السبب وراء قلقه أنه كان يعتقد أن على المرء أن يقضي جل وقته في قراءة القرآن الكريم في رمضان. كان بصره قد ضعف كثيرا في الفترة الأخيرة من العمر فلم يكن يقدر على القراءة بتاتا. فكان في العامين الأخيرين أو الثلاثة من عمره يردد ما كان قد حفظ من القرآن الكريم، بل كان قد حفظه كله، لكن الله تعالى في هذا الوضع أيضا عاملَه بحب عجيب، فقد قال لحفيده يوما: أنا لا أستطيع أن أقرأ القرآن الكريم فحين أبدأ ترديد ما حفظتُ منه وأنسى في موضع، يأتيني ملكٌ ويقرأ لي ذلك الجزء المنسي فأردد وراءه.

حين بنى ابنه الأكبر بيتا في ربوة كان المرحوم يسأل أولاده مرات كثيرة: إلى أين وصلتْ أعمال البناء؟ وذات يوم قال لكَنته الصغرى: إن الله ﷻ قد أراني بيت ابني "مولود" ثم بيّن التصميم مفصلا أن هنا الغرفة الفلانية وبجانبها غرفة فلانية وكانت تفاصيل التصميم التي بيّنها طبق الأصل، وكان من المتعذر أن

يُشرح له هذه التفاصيل، أما هو فلم يكن يستطيع النظر إلى التصميم لضعف بصره.

كلما عُهدت إلى أبنائه أي مهمة أو مسؤولية من قبل الجماعة دعا لهم كثيرا أن يوفَّقوا، وكانت قد نشأتْ علاقةٌ خاصة معي أيضا بعد أن تزوجتُ ابنته، فكان يدعو لي كثيرا لأعمالي الخاصة وأعمال الجماعة، أما بعد تقلدي منصب الخلافة فقد اتسمت هذه العلاقة بتعظيم وتوقير إذ كان قد نشأ التياعٌ في أدعيته لي، فكان يدعو لنجاح الجلسات وخُطبي، كنا نلاحظ ثمار استجابة أدعية ذلك الرجال الصالح لنا، كان يدعو لنجاح كل جولاتي باهتمام ملحوظ.

كان الخدام من حيِّنا في ربوة وهم أعزاؤنا يحرسون الحي ليلا في عام ١٩٨٤، وكانوا معتادين على شرب الشاي لئلا ينعسوا ويبقَوا متنبهين نشيطين، فكان المرحوم يترك بيته مفتوحا دوما في الليل، وكان الشباب يأتون ويحضّرون الشاي في المطبخ ويأخذونه، ثم حين لاحظ أن الشباب يحضّرون الشاي بأنفسهم بدأ يستيقظ في الساعة الثانية والنصف ليلا ويحضّر الشاي ويضع الإبريق على الطاولة في المطبخ لئلا يتعبوا. فكانوا يأتون ويأخذون الشاي الجاهز، فلما كان ينام مبكرا كان يستيقظ في الساعة الواحدة والنصف تقريبا للتهجد إذ كان قليلَ النوم، ثم كان يحضّر الشاي وبعده كان يوقظ خالتَنا للتهجد، كذلك عندما سجَّل ابنه الأصغر في الجامعة الأحمدية كان يوقظه ليلا بانتظام ويقول له اشرب الشاي وتهجدْ.

ونلاحظ أن الله ﷻ عامله بلطف من سنّ الشباب.. أقدم لكم بعض الأحداث التي ذكرها لي ابنُه من أيام إقامته في السند حيث كتب أن في السند أفاعي وثعابين كثيرة، وفي الزمن الذي أقام فيه المرحوم هناك كانت المنطقة حديثة الإعمار والسكن، فكانت تعجّ بالثعابين السامّة، يقول المرحوم: ذات يوم كانت صحتي متوعكة فقلت في نفسي اليوم أصلي الفجر في البيت لكن قوة من الغيب أصرّتْ عليَّ أن أخرج إلى المسجد الذي هو غير بعيد من البيت، وحين عدت إلى البيت بعد الصلاة رأيت ثعبانا أسود كبيرا يحاول الصعود على السرير الذي ينام عليه ابناي الصغيران، فقتلتُه فورا. فهكذا كانت معاملته المتميزة معه إذ لو صلّى في البيت لكان الصغيران عرضة للدغ الثعبان، فحياته حافلة بمثل هذه الأحداث.

كان المرحوم السيد داود مظفر شاه وأخوه السيد مسعود مبارك شاه يدرسان في الكلية الحكومية بلاهور حيث تخرّجا بشهادة البكالوريوس، فكانا مشهورين في الطلاب وهيئة الأساتذة على سواء بنبلهما وتمسكهما بالنظام، فقد كان مشهورا في الكلية كلها أنه لا يوجد نبيل مثلهما. ذات يوم خطرت على بال أحد أقاربهما فكرة مشاغبة، فأخذ بعض أغراض مدير السكن الجامعي وتركها في غرفتهما، فتحركت الإدارة فورا فتقرر أن تُفتَّش كل غرفة من السكن الجامعي، لكن فريق التفتيش حين وصل إلى غرفتهما قالوا لا يمكن أن تكون الأغراض هنا فهنا يسكن طالبان نبيلان، وكانا لا يَعرفان عنها شيئا في الحقيقة، وحين عادا إلى الغرفة مصادفة وجدا الأغراض المسروقة هناك، فقلقا جدا لأنه لا بد من بيان الصدق وفي الوقت نفسه لم يكونا يريدان أن

يعاقب رفيقُهما، فقلقا كيف يمكن تخليصه من العقاب، باختصار حين انتهى التفتيش أخذا الأغراض ووضعاها أمام مكتب المدير. على كل حالٍ شكرا لله على أنهم لم يفتشوا كثيرا ولم يطيلوا التفتيش، وإلا كانا سيتمسكان بالصدق وكان قريبُهما الذي شكَّا في تورّطه في هذا التصرف يتعرض للعقاب، لأن الإدارة كانت تثق بهما كثيرا.

إنهما كما قلت نالا شهادة البكالوريوس من الكلية الحكومية، وبعد ذلك كتبا إلى المصلح الموعود ﵁ رسالة الوقف في ١٩٤٤ استجابةً لحثّه، وكتب المرحومُ إلى حضرته مرارا: إني أراك مرارا في الرؤيا، لهذا قررت أن أقف حياتي. كما حثَّ أخاه أيضا على أن يقف الحياة هو الآخر فكانا كلاهما واقفَي الحياة. فأرسله المصلح الموعود إلى السند للإشراف على أراضي الجماعة هناك فأقام هناك مدة طويلة. ثم من ١٩٨٢ إلى ١٩٩٣ خدم الجماعة في مكتب وكالة التبشير بربوة، فكان يصل إلى المكتب في الموعد ويؤدي الأعمال المعهودة إليه دون أن يتكلم كلاما زائدا على عكس ما نلاحظ عند البعض عادةَ الانشغال في الحديث، ومع أن بعض المسؤولين في المكتب كانوا أصغر منه وبعضهم من أقاربه الأعزة لكنه مع ذلك كان ينجز الأعمال المعهودة إليه بكامل الطاعة والتواضع فلم يشتكِ قط من كثرة الأعمال. لقد كتب داعيتُنا الأستاذ لئيق أحمد طاهر في رسالته لي أن المرحوم كان يحترمه كثيرا يوم كان نائبا لوكيل التبشير، وكان يعمل في المكتب بمنتهى التواضع، فلم يُشعر أحدا قط أنه صهر المصلح الموعود ﵁ أو زوجُ أخت الخليفتين، فكان يدخل المكتب في صورة صالح صامت كثير الدعاء يذكر الله ﷻ بصوت خافت

وينصرف إلى البيت بعد إنجاز عمله في المكتب. فكان ملَكا في صورة إنسان وكل من تعامل معه أثنى عليه. كان يُكرم الفقراء ويحترمهم كالأغنياء، فلم يفضّل الغني على الفقير في قوله كلمة الحق. بعض الناس تآمروا عليه – حسدا – لثقة خليفة المسيح الثاني فيه وأضرّوه. لكنه دوما كان يفوّض أمره إلى الله مع أن القواعد كانت تسمح له بإجراء قانوني ضدهم وهو مقتضى الطبع الإنساني أيضا، ولاحظتُ أن الذين كانوا يناصبونه العداء كلما تعرضوا للبطش والمؤاخذة جاءوه يستغفرون ويطلبون العفو فكان المرحوم داود مظفر شاه يعفو عنهم دوما، دون أن يقول لهم كيف تعوّضون الخسارة التي سببتموها لي.

فعن هؤلاء الصلحاء قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إنهم لا يبغضون ولا يحسدون ولا يحقدون على أحد، بل يشفقون حتى على المسيئين إليهم إذا اعتذروا إليهم، وعن هؤلاء يمكن أن نقول: إنهم زكَّوا نفوسهم في الحقيقة.

الآن أود أن أقرأ على مسامعكم بعض الفقرات من خطبة المصلح الموعود رضي الله عنه عند عقد قران المرحوم، لكي ينشأ الاهتمام عند الجيل القادم بهذه الأمور. لقد أعلن حضرته عقد قران أربعة من أولاده — في هذه المناسبة — ومنهم ابنته التي زوّجها السيدَ داود مظفر شاه، فقد بدأ الخطبة بقوله: إن أغلى وجود في العالم هو شخص النبي ﷺ، إن الأشياء تفقد أهميتها وقيمتها بمرور الأيام وتغيُّر الظروف. من المحال أن يقدّر الناس اليوم الأوضاعَ السائدة عند بعثة النبي ﷺ. الحق أنه لو لم يبعث الله ﷻ رسولنا الكريم ﷺ لكان معنى الدين اليومَ عبادة بعض الناس والقبور والأصنام، ولما كانت للأخلاق أية قيمة في العالم، ولما

عرف الناس أن الدين اسم للجد والاجتهاد من قبل الأمة كلها، ولكان محالا لبني الإنسان إنشاء العلاقة مع الله تعالى، بل كانت مثل هذه العلاقة ستُعدّ من قبيل اللادينية والإلحاد، ولَما حُفظتْ جوانب كثيرة من حقوق بني نوع الإنسان، ولكانت النساء يعشن حياة العبودية، ولكانت الأصنام تُعبد إلى الآن ولكان الله تعالى متروكًا، ولكانت العبودية والاسترقاق سائدًا في العالم وكان الظلم والتعدي هو سيد الموقف في المعاملات اليومية. خلاصة القول، لم تكن حالة الدنيا كما هي اليوم لو لم يبعث النبي ﷺ."

بعد هذا يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه:

"إن أصدق أقوال الناس وأصلحها هو قول حسان في النبي ﷺ:

كنت السواد لناظري فعمى علي الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر"

ثم يقول حضرته رضي الله عنه:

"إن عظمة معاني هذا البيت من الشعر كامنة في أمر يتجاهله الناس عمومًا وهو أن قائله كان ضريرًا، فلو قاله بصير لما كان هذا البيت تحفة أدبية متسمة بالذوق الشعري الرفيع، ولكن بما أنه خرج من فم شخص ضرير فقد غيّر من مضمونه كثيرًا. يدعي هنا حسّان بن ثابت رضي الله عنه رغم أنني لا أملك عيونًا باصرة إلا أنني كنت بصيرا عندما كان النبي ﷺ على قيد الحياة. لقد كان الناس يعتبرونني أعمى لفقدي عيونًا ظاهرية، أما أنا فلم أكن أعتبر نفسي أعمى لأنني كنت أرى العالم كله من خلال النبي ﷺ، فكنت بصيرًا في حياته، أما الآن فصرت أعمى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان.

فكان النبي ﷺ أثمن وجود في العالم كله إلا أنه أيضا رحل يومًا عن هذا العالم وفق سنة الله السائدة."

ثم يوضح حضرته أنه قد ثبت للجميع من وفاة النبي ﷺ – كما قال حسان رضي الله عنه: من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر – أنه لا خلود لأي إنسان في هذا العالم. ثم يقول حضرته رضي الله عنه:

"لم يعش في العالم كله إنسان حياة أبدية، كما أنه ليس في العالم من يمكن أن يعيش خالدًا فيه. ففي مثل هذه الحالة يعتمد رقي الإنسان على أن يولد مَن يحل محله، فلو خلفَ الأموات خلفٌ حلّوا محلهم فلا حزن على موتهم، ويُفهِّم الإنسان نفسَه بأنه ما دام هذا هو ما يرضي خالقه فلا داعي لإظهار الجزع والخوف وليس هنالك ما يدعو إلى الحزن المميت، لأنه تصرف مخالف للعقل ويدل على الجنون.

ثم يقول حضرته رضي الله عنه وهو يحكي قصة أحد الملوك العباسيين بأنه ذهب لزيارة أحد كبار العلماء، فوجده يعلّم تلاميذه، فقال له: دعْني أختبرْ بعض تلاميذك، فقدّم له أحدهم، فوجّه إليه المِلك بعض الأسئلة، فأجاب عليه إجابات رائعة، فقال الملك: "ما مات مَن خلّف مِثْلَك"، أي أن مَن ترك بعده تلميذًا مثلك لا يمكن أن يموت حقيقة وإن مات ظاهرًا، لأن هناك من يواصل مهمته. الواقع أن لا قيمة للجسد المادي للإنسان، فإن لحم السارق كلحم الرجل الصالح وعظامه كعظامه ودمه كدمه، إنما الفارق بينهما أن أخلاق السارق رذيلة وأخلاق الصالح فاضلة، وأن الأول يفتقر إلى الروحانية بينما يتحلى الثاني بروحانية عالية. فإذا خلا الصالح تاركًا وراءه أولادًا يتحلون بأخلاق

وروحانية عاليتين فكيف يمكن أن يموت، أعنى أن أجياله إذا تحلَّوا بأخلاق فاضلة مثله فلا يمكن أن يموت أبدًا بل يصبح خالدًا. فنجاحنا كله يكمن في أن نترك وراءنا أولادًا صالحين يقومون مقامنا. هذا ما تصبو إليه الأمم، وهذا هو الأمر الذي إذا تيسر لأمة فازت فوزًا عظيمًا. إن الدنيا لم تدرك حتى اليوم أن النجاح ليس في الانتصارات إنما النجاح كله في النسل؛ إذا كان الجيل الآتي متحليًا بأخلاق عالية فلا يمكن أن تموت الأمة بل يكتب لها الخلود، أما إذا كان الجيل الآتي فاسدا ذهبت انتصاراتها كلها سدى.

ثم يقول حضرته ﷺ: فرقيُّ الأمم منوط برقي أجيالها القادمة، لذا فيجب أن ينصبّ تركيزنا كله على أن نترك وراءنا صالحين يأخذون مكاننا، ويضمنون للإسلام ازدهارًا ومستقبلا مشرقا. وهذا الأمر يتحقق بالزواج أكثر من أي شيء آخر -كان حضرته ﷺ يلقي خطبة النكاح ولذلك بين أن النكاح أفضل وسيلة للنسل الصالح - وإنما تتيسر الأجيال الآتية من خلال الزواج، وعليه فالزواج أهم عمل في حياة الإنسان، ومن أجل ذلك قد حثنا رسولنا الكريم ﷺ على الاستخارة وإعمال الفكر وعدم الجري وراء العواطف عند الزواج - هذا الأمر النبوي يجب أن يأخذه الشباب والفتيات وأُسَرهم في الحسبان خاصة- فيجب أن يتم الزواج بحيث ينتج أولادًا صالحين يضحّون للدين.

ثم قال حضرته ﷺ: إنما أساس الفساد أن الآباء يؤثرون الأولاد على الدين ويعاملونهم بدلال زائد مما يقضي على روح الدين فيهم. لقد أعلن الله تعالى في القرآن الكريم أنه لا دين لمن يعامل أولاده بدلال زائد ويؤثرهم على الدين.

إنما المؤمن من يؤثر الدين على الأولاد، ومثل هذا الإنسان لن يسمح لأولاده بالفساد، لأن الذرية إنما تفسد بالدلال الزائد.

ثم قال حضرته ﷺ: فالنكاح أهم شيء في حياة المسلم. وكما أنه لا بد من حفر الأساس للبناء، وإذا كان الأساس ضعيفًا تهدم البناء وانهار، كذلك إذا لم يلجأ المرء إلى الدعاء وإعمال الفكر جيدًا عند الزواج أدى إلى خراب بيته. مما يعني أن الأمر الذي يفرح به المرء هو مكمن الخطر في الواقع.

ثم يقول حضرته: لم أراعِ قط هذا الأمر بخصوص أولادي و لم أهدف إلى أن يتزوجوا في العائلات الغنية والمرفهة، وهذا ما نصحت به أفراد الجماعة أيضا لأن بعض الناس يميلون إلى تزويج أولادهم في الأثرياء وميسوري الحال. أما نحن فرغم أننا وجدنا مثل هذه العائلات إلا أننا رفضنا تزويج أولادنا فيها وذلك حتى نحافظ على وضعنا العائلي ومستواه، كما يجب على الجميع مراعاة اعتبارهم العائلي ومستواه عند تزويج الأولاد."

هذا هو الأصل الذي يجب اتباعه عمومًا وأردت ذكره هنا لتجعلوه نصب أعينكم عند تزويج أولادكم، لأن هناك كثيرا من القضايا المتعلقة بهذه الأمور تطل برأسها في هذه الأيام أيضا.

ندعو الله تعالى أن يوفق أفراد عائلة المسيح الموعود عليه السلام وأفراد الجماعة أيضا لأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار أثناء الزيجات، وهي تتلخص في أن الأصل في هذه الأمور كلها هو إيثار جانب الدين، ويجب أن يكون الهدف الحقيقي لكل أحمدي هو العلاقة مع الله تعالى وخدمة دينه، وإخضاع الدنيا للدين وليس

العكس. وهو الأمر الذي يضمن حياة الأمة ويحافظ عليها كما قال المصلح الموعود رضي الله عنه.

كلما رحل من هذا العالم أحد الصلحاء من أفراد الجماعة وجب عليهم تحديد مناهجهم المستقبلية بتفكير جديد آخذين بعين الاعتبار العلاقة مع الله تعالى، كذلك يجب أن يقوم به أفراد عائلة المسيح الموعود عليه السلام إذا كان المتوفى منها. الدنيا فانية ولا يدوم إلا رضا الله تعالى، ندعو الله تعالى أن يوفقنا جميعًا للعمل بهذه الأمور، آمين.

إن أبناء سيد داود مظفر شاه الأربعة يخدمون الجماعة في مجالات شتى، وله ثلاث بنات إحداهن زوجتي أما الأخريان فهما أيضا تزوجتا ممن نذروا الحياة لخدمة الدين. وفقهم الله تعالى وأولادهم وذرياتهم لإيثار الدين على الدنيا دومًا. مع أن الاثنين من أبنائه الأربعة ليسا من الوافقين حياتهم إلا أنهما يحملان أثرًا من طبيعة والديهما، لذلك فإنهما أيضا كانا ولا يزالان يخدمان الجماعة بطريق أو بآخر. ندعو الله تعالى أن يكون هؤلاء وأولادهم وذرياتهم من الذين يسعون لنيل قرب الله تعالى وأن تستجاب أدعية المرحوم في حقهم دومًا، كذلك ندعو لأولاد صلحاء الجماعة وأولاد صحابة المسيح الموعود عليه السلام حتى يتبعوا أسوة آبائهم وأجدادهم، وأن يدعوا ويسعوا جاهدين لتكون ذريتهم صالحة أيضا، وفقهم الله تعالى لذلك.

بعد صلاة الجمعة سوف أصلي بإذن الله تعالى صلاة الغائب على سيد داود مظفر شاه.